

دراسة آيات الأخلاق في القرآن الكريم في ضوء (المجاز العقلي) القائم على علاقته السببية

أ.م.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي
جامعة الكوفة / كلية الفقه

أمير عبودي عبد
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

الملخص :

تقوم فكرة البحث على تتبع مواضع أسلوب المجاز العقلي الذي اقتضته البلاغة القرآنية. وما طرأ من تغييرات دلالية بين المعاني الأول والمعاني الثواني. وبيان أثر هذا الأسلوب في اختزال المضامين الأخلاقية. والمراد الذي يحقق إحالة المتلقي إلى الصورة البيانية المتلائمة مع غرض هذا المجاز العقلي في علاقته السببية الذي يكون من خلاله الحث والترغيب على الأخلاق الحميدة أو التنفير والتحذير والترهيب من مساوئ الأخلاق. أما منهج البحث فيتلخص في تحليل علاقة الإسناد القائمة بين طرفي المجاز العقلي وتشخيصهما بالوسائل التطبيقية التي تبحث في ارتباط النص بين مظهره اللفظي ومظهره التركيبي ومظهره الدلالي وأثر ارتباط هذه المظاهر في إيفاء الدلالة البيانية بما تقتضيه مكامن البلاغة متوخية اختلاف طرائق صياغة الألفاظ لإرادة المعنى الواحد للمدخل الأخلاقي ومعطياته على وفق ضوابط مفهوم (الأخلاق).

مدخل :

توظيف الدلالة البيانية للإسناد العقلي في دراسة مفهوم الأخلاق إن توظيف دلالة الغرض البلاغي في تحليل الأساليب القرآنية موازنة مع ضوابط تحديد مفهوم (الأخلاق) على أساس ما تم الاتفاق عليه بين علماء اللغة والتفسير في تمييزهم لجوانب الأخلاق الحسنة أو المذمومة يفتح الأفاق لدراسة النص بطرائق مختلفة لمعرفة المقصود الأخلاقي من الدلالة البيانية. وأما البحث في بطون المعجم العربي عن المعنى اللغوي للفظ (الأخلاق) فإننا سنجدتها تحت مادة (خلق). وبما أنه أقدم معجم عربي وصل إلينا هو كتاب (العين) للفراهيدي (ت ١٧٥هـ) وجب النظر إلى هذا المعجم أولاً لاستظهار الدلالة المعجمية

للفظة التي نحن في صدد البحث فيها: وتأسيساً على هذا نجد الفراهيدي يقول: ((الخليفة: الخلق والخليفة: الطبيعة والجميع: الخلائق والخلائق: نُقِرَ في الصفا والخليفة: الخلق والخالق: الصانع وخَلَقْتُ الأديم: قَدَرْتُهُ وإنّ هذا الخَلَقَ للخَيْرِ أي: جدير به وقد خَلَقَ لهذا الأمر فهو خَلِيق له أي: جدير به...والخَلَقُ: النَّصِيبُ من الحظِّ الصالح وهذا رجل ليس له خَلَقٌ أي: ليس له رغبة في الخير ولا في الآخرة: ولا صلاح في الدين))^١ من هنا يكاد أن يجتمع في مفردة (الخلق) بضم اللام وسكونها معنى الدين والطبع والسجية وحقيقة تجسد هذه الأوصاف في صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة. أما مصطلح (الأخلاق) فقد عرفه الغزالي (ت ٥٠٥هـ) على أنه: ((حياة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الحياة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الحياة خلقاً حسناً. وإن كانت تصدر عنها الأفعال القبيحة سُميت الحياة التي هي المصدر خُلُقاً سيئاً))^٢. وبهذا تتكوّن الأخلاق ومنشؤها هو النفس وما الأفعال إلا مظهر لها. وهذا المفهوم لو وازناه على ملحظ المجاز العقلي في النص القرآني المؤسّس على النظر إلى كل واحدة من ألفاظه حينما تدخل في تركيب الجملة أو ما يصاغ بها التعبير بطرق اسنادية لكانت الحصلة آيات سُميت آيات الأخلاق. مع تحقق المجاز العقلي في أسلوبها البياني: إذ يستعمل كل واحد من الألفاظ في موضوعه الأصلي ويكون المجاز عن طريق التركيب الاسنادي: لأنه يتجاوز الكلمة الواحدة. كالاسم الواحد. والفعل من غير أن يُضَمَّ إليهما^٣. لأن المجاز العقلي لا يكون في الألفاظ: إذ يتوصل إليه بالاعتماد على علاقته الاسنادية وهو

جَوَّزاً^{١٦}.

القسم الرابع: أن يكون المسند مجازاً والمسند إليه حقيقة. مثل قول الله عز وجل: ((حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا))^{١٧}. وضع الأوزار: مجاز عن انتهاء أعمال الحرب. الحرب: حقيقة. وإسناد وضع الأوزار إلى الحرب مجاز عقلي، فكان القتال أثقال حملتها الحرب فإذا انقضت وضعت أثقالها^{١٨}.

ثانياً- قرينة المجاز العقلي: تستند الدلالة المجازية على معناها الذي تنصرف بوساطة القرينة جهة الدلالة من الحقيقة إلى معنى مجازي فيصبح إسناد الفعل أو ما في معناه إسناد إلى غير ما حقه أن يسند إليه^{١٩}. أي هي الدليل الذي يستفاد من التعبير ليتعرف السامع أن الوظيفة البيانية من الإسناد عائدة للمجاز عقلي.

وتأتي قرينة المجاز العقلي على وجهين:

الوجه الأول: أن تكون غير لفظية، و يستفاد من الجملة باستحالة صدور عمل المسند من المسند إليه أو قيامه به عقلاً. فيكون وجه القرينة من دليل العقل^{٢٠}.

وتتوقف أدلة العقل في مدى معرفة المتلقي بالمعاني البعيدة من غير ظاهر التعبير وكذلك بمعرفة ما يعتقد به المنشئ: ليتجلى نوع الإسناد من خلال تأويله. وكذا حال معرفة القرينة التي يقوم عليها المجاز العقلي، إذ ترجع إلى تأويل المتكلم: ((لأن المجاز العقلي هو طريق البلاغيين في الاستنباط. وسبيلهم إلى اكتشاف المجهول بنوع من التأويل والحمل العقلي))^{٢١} لما يتضمن في النص من معنى تأويلي حينما يقترب المسند إلى ما غير حقه أن يسند إليه، فجملة (شفى الطبيب المريض) إن قالها الجاهل الذي يعتقد وقوع الشفاء من الطبيب فهي حقيقة لأن الجاهل لم يضمن تعبيره تأويلاً معين. وإن قالها العالم الذي يعتقد أن الشفاء من الله وحده ولكن الطبيب سبب فيه: فيكون التعبير على سبيل المجاز حيث يوجد التأويل^{٢٢}. وقد يكون تعيين القرينة من خلال معرفة استحالة صدور المسند من المسند إليه استحالة عرفية كما في قولهم: بنى الأمير المدينة وكسا الخليفة الكعبة، فالعرف يمنع وقوع البناء من فعل باشرة الأمير وعمل الكساء من الخليفة إذ جرت العادة إن العمال هم الذين يفعلون ذلك بأمر ذلك الأمير. ولكن العقل لا يمنع من مباشرة البناء بنفسه أو إلقاء الكساء على الكعبة. وعلى هذا التوجيه تكون الاستحالة من جهة العرف: أي المتعارف بين الناس^{٢٣}.

الوجه الثاني: أن تكون لفظية، كقوله سبحانه: ((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَفْلَعِي))^{٢٤}. فيرى الدكتور الصغير أن في هذه الآية مجازاً عقلياً قرينته في لفظتي (يا أرض) و(يا سماء) والأرض والسماء لا تعي الخطاب، بل عبر عن إرادته في خطاب الجماد مجازاً بقوله (قيل) وإنما أمره كائن فيهما من دون خطابهما^{٢٥}.

ويظهر ما تقدم الغرض البياني للقرينة المجازية في ((منع إرادة المعنى الأصلي ليزول اللبس من الكلام. ومن ثم فإن المجازات لا تنفك عن القرائن سواء كانت لفظية أو حالية أو غير ذلك))^{٢٦}

ما يتميز به من المجاز اللغوي، إلا أن هذه العلاقة الاسنادية غير حقيقية بحيث يحصل الخفاء والإبهام في الإسناد: لذا لا بد من وجود قرينة مانعة من إرادة المسند الحقيقي^٥. ولا ينحصر تحقق قرينته الصارفة عن المعنى الحقيقي في نطاق المفردة الواحدة فحسب كما هي حال المجاز اللغوي: بل يتحقق في قراءة فاحصة للجملة لكي نرصد صلة دلالتها المجازية من بين طرفيه في الإسناد في تركيب الجملة الذي يدلنا عليه الحكم العقلي. و ((يستشعر ذلك حسياً وعقلياً معاً عن طريق التركيب في العبارة، والإسناد في الجملة: فهو مستنبط من هيئة الجملة العامة، ومستخرج من تركيب الكلام التفصيلي من دون النظر في لفظ معين، أو صيغة منفردة، وهذا ما يميزه من المجاز اللغوي))^٦.

المبحث الأول /

أطراف الإسناد في المجاز العقلي وأنواع قرائنه:

أولاً- أطراف الإسناد في المجاز العقلي: تتكون الجملة من طرفين هما المسند والمسند إليه ومعنى المسند: هو الموضوع الذي يتناوله معنى الجملة سواء أكان للمثبت أم للمنفي في الموضوع بما يقصده المتكلم في دلالة الكلام. والمسند إليه هو المثبت له أو المنفي عنه ذلك الموضوع^٧. وقد اعتمد علماء البلاغة على هذه الأركان: أي المسند والمسند إليه في تحديد نطاق الجملة البيانية: لأنه ((إذا رُمِتْ الفائدة أن تحصل لك من الاسم الواحد أو الفعل وحده، صرت كأنك تطلب أن يكون الشيء الواحد مُمَثِّلاً ومُثَبِّتاً له، ومنفياً ومنفياً عنه، وذلك محال، فقد حصل من هذا أن لكل واحدٍ من حكمي الإثبات والنفي حاجة إلى أن تُقَيِّده مَرَّتَيْنِ، وتُعلِّقه بشيئين))^٨.

ويظهر من وجود طرفي المجاز العقلي بالنظر إلى: «المُسْنَدِ والمُسْنَدِ إِلَيْهِ» حكماً عقلياً يستنتج من الحقيقة اللغوية أو المجاز اللغوي^٩: ليتنبع أثرهما في اتفاق أو تغاير الطرفين. ومن خلاله هذا الحكم العقلي قُسِّمَت أطرافه على أربعة أقسام^{١٠}:

القسم الأول: أن يكون الطرفان حقيقتين.

مثل: قول الله عز وجل: ((وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا))^{١١}.

أخرجت الأرض: كل من المسند والمسند إليه حقيقة. والإسناد مجاز عقلي، لأن الأرض ليست هي التي تخرج أثقالها حقيقة، فالجواز مستنبط من اقتران الإخراج بالأرض^{١٢}.

القسم الثاني: أن يكون الطرفان مجازيين.

مثل: قول الله عز وجل: ((فَمَا رِيحَتُ جَارَتُهُمْ))^{١٣}: إذ نفي الريح: مجاز عن عدم تحصيلهم نفعاً من أخذ الضلالة وترك الهدى. جارتهم: مجاز عن عملية أخذ الضلالة وترك الهدى. وإسناد نفي الريح عن جارتهم مجاز عقلي، إذ المنافقون هم الذين لم يربحوا^{١٤}.

القسم الثالث: أن يكون المسند حقيقة والمسند إليه مجازاً. مثل قوله تعالى: ((وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ))^{١٥} فالمسند هنا حقيقة وهو فعل السؤال. والمسند إليه هنا مجاز وهو القرية. فالعنى وأسأل أهل القرية غير أنه نسب السؤال إلى القرية

تأمر بالمعروف مع أن بعثها للمعروف والعمل الجميل : إذ إنها لا تقل في الهدف الذي يكمن من وراء هذه الفريضة. ذلك بأن الخير بما فيه العمل الجميل قد ضمته هذه الفريضة فصارت الوحدة بينهما ثابتة بدليل إن الصلاة خير العمل والمعروف . أما القرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي فهي قرينة (معنوية) أي استحالة أن تكون الصلاة هي الناهية فالإسناد هنا مجازي: إذ نجد بهذا الانتهاء عن الفحشاء والمنكر قد اسند إلى (الصلاة) عقلاً لأنهما سبباً للانتهاء: ذلك بأن الكف عن الفحشاء والابتعاد عن مزاولة المنكر إنما يقوم به الإنسان نفسه وليس الصلاة: وهنا يتجلى معنى عميق في إقامة الصلاة :لذا فد(العبد إذا قام بين يدي ربه يناجيه ويتلو كتابه . هان عليه كل ما في الدنيا رغبة فيما عند الله . ورهبة منه . فيتباعد عن كل ما لا يرضي الله)(٣٣: من هنا كانت الصلاة هي السبب الذي يدعو الإنسان للابتعاد عن هذه السيئات والنأي بنفسه عنها : لهذا اسند فعل النهي إليها أي إلى الصلاة من هذه العلة .وإلا فالإنسان هو نفسه من تنتهي وليس الصلاة . وهناك معنى مستبعد في تأويل نهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر وهو ((أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها))٣٤ ودليل ضعف هذا الرأي أن التعبير القرآني استعمل الفعل المضارع (تنهى) وفيه دلالة على الاستمرار والصلاة لا تستمر بل هي منحصرة إلى خروج الوقت المحدد لها .في حين أن النهي مستمر.

وثمة مناسبة بيانية بين الجملة المجازية في الصلاة الناهية وبين قوله ((وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)). فذكر الله اسم من أسماء الصلاة فكأنها تجسد في المؤمن بدوام ذكره لله . أو المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله لأن ذكر الله أعظم ما فيها كأنه أشار بذلك إلى تحليل نهياها عن الفحشاء والمنكر: لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر٣٥ .

وكما كانت الصلاة ناهية . أيضا تكون آمرة على طريق المجاز ولكن المصلي هو الفاعل الحقيقي للأمر والانتهاء . وما الصلاة هنا إلا بسبب فعلها الانتهاء عن المحظورات الأخلاقية . فهي تدعو إليه وتبعث عليه٣٦ .

وفي هذا الإسناد المجازي مقصد أخلاقي يكمن في أن الصلاة تنقي النفس وتزيد من صيانتها وتعمل على كونها وسيلة لحفظ سلوك الفرد من مزالق السوء والأخلاق المنكرة من خلال تقوية إيمانه باتجاه العمل الصالح والأعمال المستقيمة .

ونرى في قوله ((أقم الصلاة)) عبارة كان أداؤها في صيغة أسلوب الأمر بدلالة الفعل ((أقم)) ونجد أن تعبيره للأمر قد وصله من دون فاصل مع الجملة الإخبارية المؤكدة بد(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) . وهذا الوصل فيه دلالة حصول الأثر النفسي من إقامة الصلاة في المصلي لما يكون عليه حاله من حضور نفسه في عمله من دون أن يتجاوز عن صلاته إلى اتصال نفسه بغير عمل الصلاة. فإذا قطع وفصل بين إقامة الصلاة وجنح بنفسه إلى حالة فيها لا يلتفت حينها أنه

فضلا عن أن السياق الذي تنتظم فيه الجملة له فاعلية الأداة التي يستدل به على تعيين القرينة وتمييز القرينة اللفظية من العقلية : لأن الدلالة السياقية من الوسائل المهمة للوصول إلى المعنى .وتعول القرينة على المعنى الذي تدور فيه التراكيب والعبارات . فإذا ما وضعنا في الحسبان أهمية المعنى الذي يرمي إليه سياق النص فإن الوقوف على تأويل القرينة سيكون أكثر تطابقاً مع المقام أو مع وجه الخطاب الذي اقتضاه السياق٢٧ .

المبحث الثاني/ تحليل المجاز العقلي بتوظيف العلاقة السببية في آيات الأخلاق:

إن استظهار الدلالة الفنية للمجاز العقلي لا تتأتى من الاقتصار على المفردة : بل تتحقق في تحليل علاقات الإسناد التي يقوم بها المجاز العقلي لأنها هي مظنة الحكم المجازي٢٨ التي يجمعها صلات الإسناد بين طرفيه٢٩ .

والعلاقة التي نوظفها للبحث هي العلاقة السببية : وتعني هذه العلاقة أن يتضمن النص ما بُني في أصل صدور الفعل لفاعل معين بحكم العقل واسند الفعل للسبب مجازاً لمقارنته الفاعل الحقيقي في ملابسة الفعل: إذ يكون الحكم على هذه العلاقة ضمن نطاق المجاز العقلي: لأن الفعل فيها مسنداً إلى غير الفاعل الحقيقي٣٠: ((إذ كثيراً ما يطلق هذا المجاز في القرآن مسنداً إلى السبب .وأن بدا العامل فيه الفاعل .ولكن التحقيق يبدي خلاف ذلك مما يوحي بطبيعة إرادة المجاز))٣١.

ومن ذلك قوله تعالى ((أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ))٣٢ .

يترتب المعنى الأخلاقي في إقامة الصلاة بأنها مظهر للعبادة وإقامة الفريضة .والصلاة التي تذكرت بالنعمة تبعث على امتثال النعم . فضلاً عن أن في الصلاة صبراً من جهات منها مخالفة حال المرء المعتادة ولزومه حالة في وقت معين وهو ساعة الفريضة لا يسوغ له التخلف عنها ولا الخروج منها فامتثال النواهي الربانية في ترك المنكرات والفواحش أمر يحتاج إلى تقوية ووازع وهذا ما حققه فريضة الصلاة.

وفي المقطع القرآني أسند الحكم للسبب مجازاً في قوله: ((إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)). وتحقق الإسناد بين طرفي مختلفين يتكون من :

المسند إليه (الصلاة) طرف حقيقي. الموضوع الذي يتمثل في الآية الكريمة.

المسند (تنهى عن الفحشاء والمنكر) طرف حقيقي يدور حوله المعنى التعليلي لإقامة الصلاة .

والاتفاق بين طرفي الإسناد فيه إشعار للمتلقى بأن أداء الصلاة واجب لا يجوز التخلي عنه : فهي في ذاتها عمل يشتمل على الآداب من الطهارة وذكر الله في خضوع ينشغل فيه المصلي من دون أن يعمل أي شيء يقطع بينه وبين عبادته التي تصبح على نقيض من عمل الفحشاء والمنكر. ولم يذكر أن الصلاة

دَرَجَاتٍ))، ومدلول الدرجات يقتضي التفاوت بين المؤمنين. والدلالة المجازية من تلاوة الذكر الحكيم التي تزيد المؤمن إيمانا تعني في الحقيقة زيادة اليقين وطمأنينته ٤١ على ما عقد عليه دينه وتمسك أكثر به حتى تزايدت فضائل المؤمن في الطاعات التي لا تتحدد بالواجبات: بل تتعدى إلى المندوبات.

ومن بيان زيادة الإيمان سواء الإيمان المقصود بزيادته نفس الاعتقاد أم زيادته في إقامة الطاعات فكلما الأمرين قوام بناء الروح المتكاملة، وتتجسد تكاملها في أخلاق المؤمن بحسن توكله على ربه بما ((عرف عندئذ مقام ربه وموقع نفسه، معرفة تطابق واقع الأمر. وهو أن الأمر كله إلى الله سبحانه فإنه تعالى وحده هو الرب الذي إليه يرجع كل شيء... فيرضى بما يقدر له في مسير الحياة. ويجري على ما يحكم عليه من الأحكام ويشعره من الشرائع فيأتمر بأوامره وينتهي عن نواهيه)) ٤٢. وتظهر من كمال المؤمن في مواظبته على الصلاة، والبذل للفقراء، وفي تناوب أفعال الجوارح بين دلالة مجيء الفعل المضارع بين الفعل ((يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ)) الذي بدأ به النص والفعل الذي انتهى به النص ((وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)) فذلك في بيانه الاستمرارية والمداومة على هذه الأعمال، كما أنها حاصلة بسبب وجل القلب وزيادة الإيمان.

وقد ظهر أسلوب التحضيض عن طريق الإنباء ٤٣، وذلك ما دل عليه أسلوب صدر الآية بـ((إنما))؛ إذ إن دلالة الحصر هذه لا على سبيل الحقيقة بل الحصر هنا عبر عنه مجازاً، ولكن إذا كان الغرض وهذا الظاهر منه - هو للترغيب والتحضيض - تحولت بالدلالة من الحقيقة إلى المجاز في صياغة معنى الحصر الذي صيغت مؤداها اللفظي الظاهر في الجملة الإخبارية من بيان درجات المؤمنين في صورة تجعلنا أمام ما أعد الله تعالى للذين يجدون ما يوعونه في هذه الأوصاف من دلالتها الترغيبية فيما أنبأنا به النص القرآني في الآية: ((أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)) ٤٤.

وبهذا نخلص إلى مسألتين تدور بين الدلالة البيانية للنص والمقصود الأخلاقي له، هما:

المسألة الأولى: إشادة بالنص القرآني بخيار المؤمنين وتعريض بالمنحرفين عن الإيمان. أي المنحرفين من جادة الإيمان إلى مسالك المنافق وذلك لقول ابن عباس: ((أنه سبحانه أراد بذلك أن المنافق لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره وإن هذه الأوصاف المذكورة منتفية عنه)) ٤٥؛ لأن قلبه قاس ومتعال ومتعظم ولا يتأثر بذكر الله ولا يرق إليه ولا ينصاع للرشاد عند ذكره حينئذ هذا الفرد لا يعرف الله وبالحال هذه. ومن ثم لا ينال رحمة الله عز وجل؛ ذلك بأن معرفة ربوبية الله تعالى تقتضي معرفة الإنسان للعبودية، والمنافق لا يجد هذه المعرفة إلى قلبه سبيلا وذلك بداعي صده عن سماع آيات الله سبحانه.

المسألة الثانية: إن النص القرآني يشير بقوله: ((أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)) وهم أصحاب القلوب السليمة التي لم تمرض ولم تختل بالمنافق المفضي إلى مساوئ الأخلاق؛ لذا يجد المؤمن حلوة التلاوة ويتلقى النص بشغف و يلتبس لطف الله في

واقف بين يدي من أمره ويوقره بهذه العبادة الواجبة فقد أخل في إقامة الصلاة ولم يحصل له ما يتطابق مع دلالة الجملة الإخبارية في انتهاء المصلي عن الفحشاء والمنكر؛ وهذه الآداب التي يلزم بها المؤمن في كل صلاة ((فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه وادكر أنه واقف بين يديه وأنه مطلع عليه ويراها صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها. ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة: فهذا معنى هذه الأخبار لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أن يكون)) ٣٧.

وإقامة الصلاة تقتضي ترك الفحشاء والمنكر بشتى صفاتها المستقبحة، وهذا الترك هو حمل معناه على دلالة الانتهاء أو الامتناع، فإذا تأملنا في قوله تعالى: ((إن الصلاة تنهى عن الفحشاء))، فالفحشاء الممتنع عن إتيانها التي هي من آثار الشهوة، وقوله: ((والمنكر)) وهي من آثار الغضب، والشهوة والغضب من آثار الهوى لأن المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها في أصل أعمالها ثلاثة: الشهوة، والغضب، والهوى ٣٨. والانتهاء والامتناع عن هذه الآثار الذميمة أخلاقيا هي من تأثير إقامة الصلاة.

ومن جنس هذا النمط من المجاز أيضا قول الله عز وجل: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ - أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)) ٣٩.

دلالة النص حول صفات المؤمن الذي ينبغي أن يكون عليه واقع سلوكه نحو تكامل نفسه وقربها من الله تعالى، وعلامات ذلك من أخلاقه في استقامته وتوكله على ربه فيظهر حاله نحو الأحسن بمدى صلته بالله وآياته القرآنية.

وفي النص القرآني إخبار عن وصف المؤمنين بموصول وصل بثلاث مقامات عظيمة مقام الخوف، ومقام زيادة الإيمان، ومقام التوكل إخباراً عنهم بثلاث: الصفة القلبية و الصفة البدنية والصفة المالية. وبدأ من أفعال القلوب لأنها أشرف وفرق في أفعال الجوارح بين الصلاة والصدقة لأنهما عماد الإيمان ٤٠. ويظهر من إسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلي، ملابسته السببية.

وتحقق الإسناد بين طرفي متفقين يتكون من:

قوله: (تليت عليهم آياته) طرف حقيقي: المسند إليه (الآيات).

قوله: ((زادتهم إيماناً)): طرف مجازي: المسند (زيادة الإيمان).

والقرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي للإسناد المجازي قرينة لفظية في ذكره ((زادتهم إيماناً)): لأن اقتران قوله ((زادتهم إيماناً)) مع (تلاوة الآيات) بمعنى أن الله تعالى هو الذي يزيد إيمانهم ولكن لنسبة الآيات القرآنية لله جاء بإسناد الزيادة لهذه الآيات؛ و يبدو للباحث من تغاير طرفي الإسناد في كونهما طرفين مختلفين دلالة على التفاوت بين المؤمنين فليسوا على حد سواء فبعضهم يزداد أكثر من بعض وفي سياق النص توجد قرينة لفظية على حدوث هذا التفاوت بينهم في قوله ((لَهُمْ

تقلبه فينحو نحو الخير أحيانا: بل يُثَبِّت (يطبع) على الإنسان (القلب) في حال واحد .

و الجملة الثانية : ((عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ)).

١- المسند (المتكبر الجبار) : طرف حقيقي وهي صفات أخلاقية سيئة .

٢- مسند إليه : (القلب) طرف مجازي : لأنه ليس المقصود بالقلب هنا ذلك العضو الصنوبري في صدر الإنسان ، فالدلالة مجازية في لفظة القلب بل المراد معنى القوة النفسية التي تكون فيها موضع الطبائع والاستعداد الإنساني .

ووصف القلب بالتكبر والجبر مجاز عقلي : لأنه مركزهما ومنبعهما والمقصود وصف نفس صاحب هذه الأخلاق كقوله تعالى : ((فَإِنَّهُ إِنَّمَا قَلْبُهُ)) ٥٣ : لأنه سبب الإنثم كما يقال : رأْتُ عيني وسمعتُ أذني ٥٤ ، والمراد صاحب العين والأذن .

وبالمقارنة مع هذا التعبير يتجلى معنى عميق في وصف القلب بالتكبر والتجبر وهو (التجرد من الإيمان) ، إذ في حقيقة الأمر لما كان القلب يمثل موضع الرحمة والإيمان فهو يتخلص بفضلهما من كبريائه وتجبره ، وقد ذكرت الصفتان مجازاً في تعبير إسنادهما لحال القلب لإفهام السامع أن هذا الشخص قلبه خال من الرحمة وهو متجرد من الإيمان ، فإذا كان حال قلبه كذلك كان الإنسان في أخلاقه متصفاً بالجبروت والمكابرة ، ونظير هذا التعبير القرآني قوله سبحانه في وصف اليهود ((فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)) ٥٥ ، فقساوة القلب تعني ميله إلى الأمور الدنيوية ٥٦ فيتجرد القلب بهذا من صفة الرحمة وهذه تعد عقوبة ونقمة ولهذا ناسب وصف القلوب بالقاسية عقب قوله (لعنهم) فلا يتعظون بموعظة ولا تستجيب هذه النفوس لغلظتها وقسوتها ٥٧ فاستحقوا اللعن أي الطرد من الرحمة : لأن المواعظ رحمة لتهديب السلوك الإنساني وتوجيهه للنوازع الحيرة وبالزجر عن المعاصي ومساوئ الأخلاق التي تزيد من ابتعاد الإنسان عن الهدى والصلاح .

ومن معنى كلمة (يطبع) ودلالة الاختلاف بين طرفي الإسناد ينتقل المتلقي إلى أن الطرف الأول وهو النفس الإنسانية لا تناسبها الصفات الأخلاقية الذميمة : لأنها ليست من طبيعتها الفطرية : ولذلك لو تأملنا عموم التعبير القرآني فأننا لا نرى عبارة : (كذلك يطبع الله على كل قلب متواضع صالح) ، لأن التواضع وما يلزمه من صفات صالحة هي التي تناسب طبيعة نفسية الإنسان على وفق فطرته ، فضلاً عن أن دلالة الطبع قد جاءت مع سياق التحذير بالعاقبة والعقوبة ، وهذا بما لا يتناسب مع ذكر القلب المتواضع الرحيم .

من هنا نصل إلى نتيجة ثانية يتبين منها أن القلب الموصوف بالتجبر والتكبر هو تعبير مجازي عن خلو الإنسان من الرحمة والإيمان ومن اللطيف أن الله تعالى قدم لفظة (متكبر) وأخر لفظة (جبار) ؛ وذلك على وفق التسلسل الطبيعي (الزماني) لحدوث كل منهما : فلا يقع التجبر أو الظلم إلا بعد أن يتكبر المرء ، فالتكبر مرقاة للظلم فكل ظالم متكبر بالضرورة : لأنه

ذكره وكأن ما يُذكر بربه هو ماثلاً في القرآن الكريم ، ولقد جعل من ارتقاء شأن الآيات على أهل الإيمان في قوله : ((وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ)) إذ استعمل التعبير القرآني (عَلَيْهِمْ) للاستعلاء للدلالة على التمكن من قلوب : إذ الآيات تسيطر على قلوبهم وتملأها خشوعاً فتتكسر من مهابة الشعور والخضوع الكامل لذكر ربهم ، وهم لكمال أعمالهم يتكامل إيمانهم .

قوله تعالى : ((الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ)) ٤٦ عند النظر في النص الكريم نجد إن المعنى الأخلاقي يرتب دلالة بيانية في عاقبة التكبر الجبار ، صريحة من سياق الآية ، ذلك أن التكبر لا يجوز على أية حال من الأحوال لأنه من مساوئ الأخلاق : بل من أسفلها لأنه تتظاهر فيه النفس برفع مقدارها فوق الوصف الحقيقي لها ، فتدخل في نطاق التجبر والظلم للعباد أولاً وللنفس ثانياً ، وهذا في صفة العباد ذم وفي صفة الله سبحانه مدح ٤٧ .

و نلاحظ أطراف الإسناد في جملتين الأولى : ((يَطْبَعُ اللَّهُ)) ،

المسند : (يَطْبَعُ) وهو طرف مجازي .

المسند إليه (الله) وهو طرف حقيقي .

والقرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي هي قرينة لفظية تتمثل بالفعل (يطبع) : لأن الأصل الحقيقي لهذا الفعل هو : ((أن تصور الشيء بصورة ما ، كطبع السكة ، وطبع الدراهم ، وهو أعم من الختم وأخص من النقش)) ٤٨ ، ولكن دلالته هنا صرفت إلى التعبير المجازي : لأن قدرة الله تعالى نافذة في الخلوقات بالأمر الكائن بحقيقة الإرادة الإلهية في كل شيء موجود ، ولعل في قوله : ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) ٤٩ ، فلا وساطة لتحقيق الأمور من خلال الأفعال التي يحتاجها البشر كالختم على الشيء أو تمييزه بالطبع عليه ، في حين إن الدلالة هنا للفعل (يطبع) مجازية فهي بمعنى أن من (كانت هذه صفته ، يطبع الله على قلبه ، فلا يعرف يعد ذلك معروفاً ، ولا ينكر منكراً ؛ ولهذا قال : ((كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ)) أي : على إتباع الحق)) ٥٠ ، ففعل الطبع اسند إلى الله تعالى جَوَازاً : لأن الله لا يطبع على قلب الإنسان حقيقة ولكن بسبب عناد الشخص وكثرة جدله في حق الله وإنكار آياته فإنه سبحانه يتركه بلا هداية فكأن ههنا فعل الطبع صرف القلب عن الهداية ؛ حيث تتولد دواعي الكبر والرياسة في القلب ، فتصير تلك الدواعي مانعة من حصول ما يدعون إلى الطاعة والانقياد لأمر الله ، فيكون تعليل الصد عن الدين ومعاداته لبقاء القلب على التجبر والتكبر ٥١ ، فالمراد من فعل الطبع هو الإبقاء على عناد المجادلين بمعنى آخر منع التوفيق الإلهي من هدايتهم بسبب جدالهم بالدين ؛ فهم لا علم فيه ولا سلطان صالح يحتجون به ٥٢ .

وفي اختيار لفظة (يطبع) مع قلوب المتكبرين ننتقل إلى دلالة بيانية من استمرار حالهم في التكبر ولا يرجى خيراً من صلاحهم وفي دلالة (يطبع) تأكيد آخر من حيث أن القلب الذي يُراد منه الحالات الأخلاقية والنفسية المتقلبة لا يبقى على

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٤).

جاء التعبير القرآني على نحو الجملة الإخبارية يفيد النهي والتحذير من الاقتداء بسيرة المنافقين الأخلاقية التي ذكرهم النص . فـ(هؤلاء صنف من المنافقين. فلما آتاهم ذلك بخلوا به. فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقاً إلى يوم يلقونه. ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو. كما أصاب إبليس حين منعه التوبة) (١٥). وقد ضمن النص الفعل أعقب أعقب في سياق الوعيد على ما بخلوا به أي : ((بإخراج حقه منه . وكل بخل أعقب بوعيد فهو عبارة عن منع الحق الواجب . والظاهر أن الضمير في فأعقبهم هو عائد على الله . عاقبهم على الذنب بما هو أشد منه) (١٦).

وفي قوله ((إلى يوم يلقونهُ)) إذا كان ضمير الهاء عائد إلى الله تعالى فلا بد حينئذ من أن يكون اللقاء الذي لا تكون فيه الرؤية العينية ولا ملامسة بين أطراف اللقاء : ((ولما كانت الملاقاة بين الجنسين المدركين سبباً لحصول الإدراك فحيث يمتنع إجراء اللفظ على المماسسة وجب حملة على الإدراك لأن إطلاق لفظ السبب على المسبب من أقوى وجوه المجاز) (١٧).

ويتحدد المجاز العقلي في المقطع القرآني : ((فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ)). وتحقق في الإسناد مجاز عقلي طرفيه: (فَأَعْقَبَهُمْ) المسند فعل الإعقاب: طرف حقيقي.

المسند إليه (المنافقين أي الذين بخلوا وتولوا وهم مُعْرِضُونَ): طرف حقيقي.

والقرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي هي قرينة لفظية (في قلوبهم) لأن النفاق لا يكون في القلب فهذا مجاز: بل هو يكون في باطن الاعتقادات ويتمثل بالإرادة البشرية التي تتناقض مع الصورة الخارجية لظاهر المنافقين .

وفي الآية نهي عن خلق مقيت وهو مخالفة العهد. فبعد أن عاهدوا الله بأنه إذا ما آتاهم من فضله سيتصدقون وعضدوا ذلك بالقسم على أنفسهم باستعمال اللام في قولهم (لئن) ثم أنكروا ذلك بعد أن منحهم ما أرادوا: إذ بخلوا بالفضل ولم يمنحوا الناس منه شيئاً: ولهذا قال سبحانه على سبيل المجاز ((فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ)). إذ النفاق لا يُعَقَّبُ لأنه شيء غير مادي حتى يكون خلفهم ولكن أوردته مجازاً: لأنه سبب التعقيب والعقوبة . ذلك بأن نفاقهم الذي كانت عليه أخلاقهم هو الذي أوصلهم إلى مرحلة البخل فهم لم يفوا بما وعدوا الله: حيث يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) : ((أَيُّهُ الْمُنَافِقُ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْمِنَ خَانَ)) (١٨).

ومن هذه الأوصاف عاقبهم سبحانه بأن أعقبهم النفاق الذي هو السبب في أصل هذه العقوبة والعقبي . ومن هذا المجاز تنتقل إلى معنى عميق من أمرين :

الأول : النهي عن النفاق لأنه مظنة السوء والعاقبة السيئة . ولأنه خلق إنساني مرفوض سواء أكان مع الله أم مع الإنسان نفسه فهو مصيره إلى سوء العاقبة. ولما كانت عاقبته هكذا

لولا تكبره على الله وعلى الناس لم يظلم ويتجبر : لهذا قدّم سبحانه التكبر لأنه وباعث للتجبر. ويكون التكبر سابق على التجبر زمنياً وسبباً . وكلاهما (التكبر والتجبر) مساوئ أخلاقية يدفع صاحبه إلى حيز المقت والنفور من الناس. فضلاً عن استحقاقه غضب الله ومقته . وخلاف ذلك يميل المجتمع الإنساني إلى أصحاب القلوب الرؤوفة السمحة ومن جنس هذه المحامد الأخلاقية كانت أخلاق الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ودليل ذلك مصداقاً وسنداً قوله سبحانه: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)) (٥٨).

أما المناسبة بين ذيل الآية : ((كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا)) (٥٩). وصدرها الذي جاء في قوله: ((الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ آتَاهُمْ)) فهو لبيان اشتراك حال الصنفين في بعدهم عن رحمة الله واستحقاقهم المقت الالهي ومقت المؤمنين . ومعنى المقت هو أن يبلغ المرء في طباعه من الفظاعة مبلغاً يمقته الله معه ويبغضه ويظهر خزيه ويشينه في قومه (٦٠).

وتضمن الذم في الآية الكريمة ضرباً ((من التعجب والاستعظام ... (كذلك) أي مثل ذلك الطبع الفظيع (يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا) فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف والارتباب والمجادلة بالباطل)) (٦١) وكلها تحمل دلالة الأخلاق الممقوتة: لذا جاء التحذير في عاقبة من يتبع هذه الطباع بأن الله سبحانه سيطبع على قلبه. وفي هذا دلالة بليغة تنص على أن أخلاقهم المذمومة قد طبعت على التكبر والتجبر. فيكون طبعها زيادة في التعاضل عن أتباع الحق (٦٢). وسير حثيثاً نحو الباطل.

ومن جهة بيانية أخرى نرى اكتفاء التعبير القرآني بذكر لفظة (كل) مرة واحدة: إذ لم يكررها فلم يقل : ((كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا)) ومن سمة الاكتفاء بـ(كل) هذه نستبين فائدة دلالية في النص وهي التخصيص على العموم على كلتا الجهتين فيكون مدلول عموم المتكبرين أي (قلوب المتكبرين جميعاً) أو (على كل قلب المتكبر الجبار) أي عموم قلب المتكبر وإذا تكررت كل يتحدد إرادة مدلول أحد هذين المعنيين فلم يقل "على قلب كل متكبر جبار" بل قال (على كل قلب متكبر جبار) : من هنا كان المعنيان المستحصلان من الدلالة البيانية متحقق بين صورتين :

الأولى : يطبع الله تعالى على كل القلب عموماً فلا يترك من القلب شيئاً.

والثانية : يطبع على قلوب كل المتكبرين الجبارين (٦٣): فلا يترك منهم أحداً. فـ(كل) سبقت صفات المتكبر الجبار. فشملت كل ما طبعه الله على القلب فلا يترك من القلب شيئاً وشملت كل الطبع على كل قلوب المتكبرين الجبارين .

ومن جنس المجاز العقلي أيضاً قوله تعالى : ((وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لِنِئَانِنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ - فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ -

الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

وجب - والحال هذه - تركه .

الأندلسي: أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف (ت. ٧٤٥هـ)
/تفسير البحر المحيط، تحقيق شيخ عادل أحمد وآخرون- دار
الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
الأندلسي: ابن عطية بن غالب عبد الحق (ت. ٥٤٦هـ)
/الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام
عبد الشافي محمد، مطبعة: دار الكتب العلمية-لبنان،
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت. ٢٥٦هـ)
/الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن
كثير، اليمامة - بيروت- الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م

البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر
(ت. ٨٨٥هـ)،
/نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب
مهدي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ -
١٩٩٥م

البيضاوي: القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن
محمد الشيرازي (ت. ٦٩١هـ)
/أنوار التنزيل وأسرار التأويل دار الكتب العلمية - بيروت،
الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م.

الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت. ١٦١هـ)
/ تفسير الثعالبي المسمى بـ (الجواهر الحسان في تفسير
القرآن)، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مؤسسة الاعلمي
للمطبوعات- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ

الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي
النيسابوري (ت. ٤٢٧هـ)
/الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)
تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مطبعة: دار إحياء التراث
العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت. ٤٧١هـ)
أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: د. عبد الحميد هنداي
، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت -
لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الجنابي: سيروان عبد الزهرة
/الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني -دراسة في الدلالة
القرآنية، مطبعة النماء، المركز الوطني لعلوم القرآن، بغداد -
العراق، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

خليل: عبد النعيم
/ نظرية السياق بين القدماء والمحدثين -دراسة لغوية نحوية

الثاني: إن الله تعالى موفٍ بعهد على كل حال وهذا خلق
عظيم من وجهة نظر الإنسانية ((ولما كانت المعاهدة سبباً
للإغناء في الظاهر، و ذلك ربما كان مظنة لأن يتوهم من لا علم
له أن ذلك لخفاء أمر البواطن عليه سبحانه، وكان الحكم هنا
وارداً على القلب بالنفاق الذي هو أقبح الأخلاق مع عدم القدرة
لصاحبه على التخلص منه، كان ذلك أدل دليل على أنه تعالى
أعلم بما في كل قلب من صاحب ذلك القلب)) ١٩: لأنه سبحانه
شديد العقاب في حال خالف المرء ما عاهد عليه .

الخاتمة ونتائج البحث:

من كل هذا نصل إلى أن المجاز العقلي أنتج في علاقته
السببية و بصوره البيانية دلالات أخلاقية غاية في البلاغة
والإبداع البياني، وكان للمجاز العقلي الأثر والمؤثر في توحي
أساليب بلاغية ذات مقاصد تربوية تصب في تهذيب سلوك
الإنسان؛ إذ أن ما يراه الباحث في هذه المزية البلاغية من علاقات
المجاز العقلي التي يمكن وضعها تحت مجال علاقات التقارب
العقلي بين الأثر والمؤثر التي جاء بهما التعبير القرآني في آيات
الأخلاق بصيغ اسنادية تكاد تكون ضمن العلاقة السببية في
نصوص آيات الأخلاق؛ بل وأكثر تطوراً في استظهار التحليل
البياني للبحث عموماً.

وفيهما ننتهي إلى أن المحصلة في ترتيب هذه الأساليب من
التقارب العقلي في التعبير القرآني هي ثلاثة أنواع، وهي:
المجاز العقلي القائم على الأسلوب الذي تمثل في آيات الأوامر
والنواهي الأخلاقية .

المجاز العقلي القائم على بيان الذم والتحذير: وهذا الأسلوب
تمثل في آيات بيان المساوئ الأخلاقية مثل الآية التي جاءت في
ذكر علو فرعون وفيها ذم للحاكم الجائر الذي يكون فرعون قدوة
له في أخلاقه المفسدة .

٣- قيام المجاز العقلي بين المؤثر والأثر الأخلاقي، فمن أكثر
الدواعي البلاغية التي اقتضت التعبير القرآني بالمجاز العقلي
هو إيجاب صلة بين الأثر والمؤثر؛ لغرض ذكر حالة أخلاقية يكون
فيها المجاز العقلي نقطة التقاء التأثير والمتأثر به، ومثال ذلك
ما تم ذكره في الدلالة البيانية لقوله تعالى: ((اتْلُ مَا أُوحِيَ
إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)) ٧٠، فقد
أظهر البحث الصلة الوثيقة بين إقامة الصلاة والانتهاز عن
الفواحش والمنكرات للصلة المتلازمة بين الصلاة وخوف الله
تعالى وطاعة أوامره .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم كتاب الله العزيز

الألوسي: محمود أبو الفضل (ت. ١٢٧٠هـ)

/روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق:
محمد السيد الجليند، مطبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت

دلالية

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الاسكندرية . الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م

الدمشقي :ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت. ٧٧٤ هـ)

/تفسير القرآن العظيم، المحقق : سامي بن محمد سلامة، مطبعة : دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

الرازي: محمد بن عمر فخر الدين (ت. ٦٠٤هـ)

/التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب- دار الكتب العلمية بيروت . سنة النشر ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل (ت. ٤٢٥هـ) /مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داووي- ذوي القربى . الطبعة الاولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م

الزمخشري : محمود بن عمر جار الله (ت. ٥٣٨ هـ) /الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل- دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧ هـ

السامرائي: مهدي

/ المجاز في البلاغة العربية مكتبة دار الدعوة - سوريا ، الطبعة الاولى، ١٣٢٤هـ - ١٩٧٤م

السبكي: بهاء الدين ابي حامد احمد بن علي بن عبد الكافي (ت. ٧٧٣هـ)

/ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح تحقيق:د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ،صيدا بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م

سلمان :علي محمد علي

/المجاز وقوانين اللغة دار الهادي للطباعة -بيروت ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني(ت. ١٣٩٣هـ).

/أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- تحقيق مكتب البحوث والدراسات-دار الفكر للطباعة والنشر -بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

الشنوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت. ١٢٥٠هـ)

/فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر- بيروت، (د.ت)

الصغير: محمد حسين

/مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية ،دار المؤرخ العربي -بيروت -لبنان - الطبعة الاولى ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩م / أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة ،دار الشؤون الثقافية العامة -بغداد العراق

الطباطبائي :محمد حسين (ت. ١٤٠٢هـ)

/الميزان في تفسير القرآن -منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات -بيروت -لبنان- الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م

الطبرسي : أمين الدين ابو علي الفضل بن الحسن (ت. ٥٤٨هـ) /مجمع البيان ،تصحيح: أبو الحسن الشعرائي، مطبعة

كتابخروشي -ايران ، الطبعة الثالثة، ١٣٨٢هـ.ق

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير(ت. ٣١٠هـ)

/جامع البيان في تأويل أي القرآن، ضبط وتعليق: محمود شاكر الحرساني، تصحيح :علي عاشور ، دار إحياء التراث العربي- لبنان -بيروت، الطبعة الأولى- (د.ت)

عبد الفتاح: بسيوني

/بين المكنية والتبعية والمجاز العقلي عرض وتحليل وموازنة مؤسسة المختار للنشر والتوزيع : ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م

العمادي :أبو السعود محمد بن محمد (ت. ٩٨٢هـ)

/تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (د.ت)

عتيق: عبد العزيز

/علم البيان ، مطبعة دار النهضة العربية -بيروت، ١٩٧٤م

الغرناطي :ابن جزي محمد بن أحمد بن محمد (ت. ٧٤١هـ)

/التسهيل لعلوم التنزيل - دار الكتاب العربي- لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م

الغزالي :محمد بن محمد أبو حامد(ت. ٥٠٢هـ)

/إحياء علوم الدين- دار المعرفة - بيروت(د.ت)

الفرايدي: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد(ت. ١٧٥هـ)

/كتاب العين تحقيق : مهدي الخزومي و.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ،(د.ت) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت. ١٧١هـ)

/ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : احمد عبد العليم البردوني، مطبعة دار الشعب- القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ

القزويني : جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر، (ت. ٧٣٩هـ)

الإيضاح في علوم البلاغة -الناشر: دار إحياء التراث - بيروت(د.ت)

مطلوب: أحمد

/ فنون بلاغية البيان والبدع-دار البحوث العلمية ،الكويت ، الطبعة الأولى ١٣٩٥-١٩٧٥م

الواحدي : علي بن أحمد بن محمد بن علي بن منوية أبو الحسن النيسابوري (ت. ٤٦٨هـ)

/الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الناشر دار القلم ،الدار الشامية دمشق ، بيروت ، ١٤١٥هـ

يموت : غازي

/علم أساليب البيان-دار الفكر اللبناني -بيروت -لبنان - الطبعة الثانية، ١٩٩٥م

الهوامش:

- ١- الفراهيدي: العين: ١٥١/٤.
- ٢- الغزالي: إحياء علوم الدين: ٥٦/٣.
- ٣- ينظر: الجرجاني: أسرار البلاغة: ٢٥٨.
- ٤- ينظر: سيروان عبد الزهرة الجنباني: الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني: ٦٩.
- ٥- ينظر: غازي يموت: علم أساليب البيان: ٢٠٥.
- ٦- محمد حسين الصغير: مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية: ١١٧.
- ٧- ينظر: الجرجاني: أسرار البلاغة: ٢٥٩.
- ٨- المصدر نفسه: ٢٥٩.
- ٩- ينظر: القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٩.
- ١٠- ينظر: أحمد مطلوب: فنون بلاغية: ١٠٤. و محمد حسين الصغير: أصول البيان العربي: ٤٧.
- ١١- سورة الزلزلة: ٢.
- ١٢- ينظر: محمد حسين الصغير: أصول البيان العربي: ٤٧.
- ١٣- سورة البقرة: ١١٦.
- ١٤- ينظر: محمد حسين الصغير: أصول البيان العربي: ٤٧.
- ١٥- سورة يوسف: ٨٢.
- ١٦- ينظر: الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٤٠/١.
- ١٧- سورة محمد: ٤.
- ١٨- ينظر: الزمخشري: الكشف: ٣١٧/٤.
- ١٩- ينظر: السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ١٢٤/٢.
- ٢٠- ينظر: القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٥٢.
- ٢١- محمد حسين الصغير: مجاز القرآن خصائصه وبلاغته العربية: ٧٩.
- ٢٢- ينظر: بسيوني عبد الفتاح: بين المكنية والتبعية والمجاز العقلي عرض وتحليل وموازنة: ٨١.
- ٢٣- ينظر: المصدر نفسه: ٨٢.
- ٢٤- سورة هود: ٤٤.
- ٢٥- ينظر: محمد حسين الصغير: أصول البيان العربي: ٤٧.
- ٢٦- علي محمد علي سلمان: المجاز وقوانين اللغة: ٢٣٥.
- ٢٧- ينظر: عبد النعيم خليل: النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين: ١٦٢.
- ٢٨- ينظر: القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٨.
- ٢٩- ينظر: أحمد مطلوب: فنون بلاغية: ١٠٥. و عبد العزيز عتيق: علم البيان: ١٥٦.
- ٣٠- ينظر: القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠.
- ٣١- محمد حسين الصغير: أصول البيان العربي: ٤٨.
- ٣٢- سورة العنكبوت: ٤٥.
- ٣٣- الشنقيطي: أضواء البيان في تفسير القرآن: ٣٥/١.
- ٣٤- الثعلبي: الكشف والبيان: ٢٨١/٧.
- ٣٥- ينظر: ابن جزي: التسهيل لعلوم التنزيل: ١١٧/٣.
- ٣٦- ينظر: الزمخشري: الكشف: ٤١٩/٢.
- ٣٧- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٨/١٣.
- ٣٨- ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب: ٢١٤/١.
- ٣٩- سورة الأنفال: ٢-٤.
- ٤٠- ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: ٤٥٥/٤.
- ٤١- ينظر: الزمخشري: الكشف: ١٩٦/٢.
- ٤٢- الطباطبائي: الميزان: ٥٨٠/٩.
- ٤٣- ينظر: محمد حسين الصغير: مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية: ١٣٤.
- ٤٤- سورة الأنفال: ٤.
- ٤٥- الطبرسي: مجمع البيان: ٣٨٠/٤.
- ٤٦- سورة غافر: ٣٥.
- ٤٧- ينظر: الطبرسي: مجمع البيان: ٥٢٣/٨.
- ٤٨- الراغب الاصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ٥١٥.
- ٤٩- سورة يس: ٨٢.
- ٥٠- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ١٤٤/٧.
- ٥١- ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب: ٥٦/٢٧.
- ٥٢- ينظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٣٥/٦.
- ٥٣- سورة البقرة: ٢٨٣ وهو قوله سبحانه ((وَأِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أَتَمَّ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)).
- ٥٤- ينظر: الزمخشري: الكشف: ١٦٧/٤.
- ٥٥- سورة المائدة: ١٣.
- ٥٦- ينظر: الألوسي: روح المعاني: ٩٥/٦.
- ٥٧- ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ٢٠/٨.
- ٥٨- سورة آل عمران: ١٥٩.
- ٥٩- سورة غافر: ٣٥.
- ٦٠- ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب: ٥٥/٢٧.
- ٦١- أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٣٥/٦.
- ٦٢- ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٨٤/٢١.
- ٦٣- ينظر: الطبرسي: مجمع البيان: ٥٢٢/٨. والشوكاني: فتح القدير: ٤٩٢/٤.
- ٦٤- سورة التوبة: ٧٥-٧٧.
- ٦٥- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٧٥/١٤.
- ٦٦- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: ٧٥/٥.
- ٦٧- الرازي: مفاتيح الغيب: ٤٨/٣.
- ٦٨- البخاري: صحيح البخاري: ١٧/١.
- ٦٩- البقاعي: نظم الدرر: ٣٦٤/٣.
- ٧٠- سورة العنكبوت: ٤٥.

